Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إذا كان يؤخذ على هذا الشاعر وغيره من المحدثين أغلاط في النحو والمعاني فقد وقع القدماء في مثلها فامرؤ القيس سكن (أشرب) في قوله :

فاليـومَ أشْرَبْ غـيرَ مستحقـبٍ إثمـاً مـن اللهِ ولا واغـلِ

ولبيد سكن « يرتبط » في قوله :

تَـرّاكُ أمكنـةٍ إذا لـم أرْضهـا أو يرتبطْ بعضَ النفوس حِمامُهَا

مع أنه لا عمل فيه لـ « لم » . وقد علل دفاع النقاد عن القديم بقوله : « إن المحرك لها والباعث عليها شدة إعظام المتقدم والكلف بنصرة ما سبق إليه الاعتقاد وألفته النفس » . (١)

والشعراء المحدثون جديرون بالإكبار لأن أحدهم يقف محصوراً بين لفظ قد ضيق مجاله وحذف أكثره وقل عدده وخطر معظمه ومعان قد أخذ عفوها وسبق إلى جيدها (٢) ومع ذلك جاء المحدثون بالشعر الرائع البديع .

هذا جانب من جوانب النقد عند القاضي وهوجانب يقوم على العلم والإنصاف وعدم التعصب ، أما الجانب الآخر فيقوم على الذوق والتأثر والانطباع وهو ركن أساسي في النقد لا يمكن إغفاله ، وقد اعتمد على هذا الركن كما اعتمد على الآخر وقاس الجودة بمقدار ما يحدثه الأثر الأدبي في النفس ، وقاس الرداءة بمدى نبو القلب ونفوره منه . وفي كتابه صفحة بديعة توضح هذا الموقف وتلقي عليه الضوء ، قال متحدثاً عن مواقع الكلام : « وهذا أمر تستخبر به النفوس المهذبة وتستشهد عليه الأذهان المثقفة وإنما الكلام أصوات محلها من الأسماع محل النواظر من الإبصار. وأنت قد ترى الصورة تستكمل شرائط الحسن وتستوفي أوصاف الكمال وتذهب في الأنفس كل مذهب وتقف من التمام بكل طريق ثم تجد أخرى دونها في انتظام المحاسن والتئام الخلقة وتناصف الأجزاء وتقابل

(١) الوساطة ص ١٠ .
(٢) الوساطة ص ٥٢ .